

المحاضرة رقم (07): المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع (النظريات) :

المدخل الوضعي:

(النظرية البنوية الوظيفية، نظرية الفعل، المدخل الماركسي)

- المدخل الوضعي:

1- النظرية البنوية: تعد هذه النظرية من أهم النظريات الاجتماعية المعروفة، فقد تناولها علم الإجماع، والبيولوجيا، والفلسفة وعلم النفس وغيرها، حيث تأسست في نهاية القرن 19، واستمرت بالنمو والتطور، في منتصف القرن 20، وقد تجلت أعمال مفكرين اجتماعيين كثر أمثال: اجيست كونت، وكولدن، وبيرز، وكلود ستراوس، ومارسيل ماووس.

❖ كما تستخدم هذه النظرية في علم البيولوجيا، بحكم أن الكائن الحي عبارة عن بناء، يتكون من مجموعة أجهزة، كالجهاز العضلي، والجهاز العصبي، الجهاز الهضمي، وكل منهم يتكون من خلايا كذلك بالسنة للمجتمع له بناؤه الخاص الذي يتكون من مجموعة من المؤسسات والأنظمة الاجتماعية الفرعية، والنظام الفرعي الواحد يتحلل الى أدوار بنوية، والدور يتحلل الى الواجبات والحقوق الاجتماعية.

2- النظرية الوظيفية: يرى رواد هذه النظرية إلى أن الطريقة التي يعمل بها المجتمع ويستمر في بقائه يمكن فهمها من خلال وظيفة النسق الاجتماعي وأن جميع أجزاء النسق الاجتماعي وعناصره هي إما: وظيفية او ليست وظيفية، لكن الغالبية العظمى من هذه العناصر هي وظيفية، كونها تلعب ادوارا إيجابية من أجل صيانة النسق والمحافظة على توازنه، أما العناصر اللاوظيفية فهي تتمثل في أدوار غير نافعة، أو تتمثل في نتائج سلبية وضارة.

مثال : قلب الانسان يؤدي وظيفة إيجابية بالنسبة للجسم ولكافة الأعضاء الأخرى، لكن وجود قصور (مشكلة) في القلب هو مسألة لا وظيفية، فالقلب المريض لا يسهم في بقاء الانسان حيا بل يهدد وظائف الأعضاء الأخرى في الجسم، وبالتالي يهدد حياة الكائن الحي.

كما يحاول اصحاب الاتجاه الوظيفي تطبيق هذا الفهم على المجتمع أو على النسق الاجتماعي، حيث يفهمون أن الجريمة مثلا عبارة عن خلل وظيفي خطير ومدمر في المجتمع، قد يؤدي الى تحطيم النسق

كله حسب حالتها وشدة انتشارها، وفي نفس الوقت تؤدي الجريمة وظائف ايجابية تتمثل في تدعيم وتقوية النظام الأخلاقي والضمير الجمعي للأفراد والمجتمعات (محاربتها والقضاء عليها..) ، وحيث تضطرننا الجريمة في حال وقوعها الى إدراك أهمية القواعد والقوانين المنتهكة، وكذا توضيح وتحديد وتفصيل القوانين الأخلاقية والنظام المعياري، ومن أصحاب هذا الاتجاه إميل دوركايم.

3- النظرية البنوية الوظيفية: تعتبر واحدة من النماذج النظرية الرئيسية في علم الاجتماع فالأفكار الأولى للوظيفة ظهرت لدى الصينيين القدامى تحديدا لدى كونفوشيوس، وتجلي ذلك باهتمامهم بوظيفة الدين والطبوس الدينية في الحياة الاجتماعية مع التأكيد على دوره كرابطة ضرورية للعلاقات الاجتماعية وتنظيمها، كذلك نجد أفلاطون الذي استخدم المماثلة العضوية حيث ماثل بين المجتمع وقوى النفس (العاقلة والغاضبة) وكذلك الفرابي حيث وظف المماثلة العضوية كذلك في افكاره المجسدة في المدينة الفاضلة حيث شبه المجتمع بالكائن الحي وقابله بطبقات الدولة (الحاكمة، الوسطى والطبقة لعاملة)، ووضح فيه الارتباط الوظيفي لأجزاء المجتمع.

وقد ظهرت النظرية البنوية الوظيفية في أعقاب ظهور كل من البنوية الاجتماعية على يد كلود ليفي ستراوس ، وكولدن ويزر، وكذا الوظيفية على يد اميل دوركايم، وظهرت هذه النظرية كرد فعل للتراجع والضعف والإخفاق الذي منيت به البنوية والوظيفية لكون كل واحدة منهما أحادية الجانب، ولهذا فإن النظرية البنوية الوظيفية جاءت لتكمل الأعمال التي بدأت بها كل من البنوية والوظيفية ذلك ان النظرية البنوية الوظيفية تقر بأن لكل مجتمع او مؤسسة او منظمة بناء، والبناء يتحلل الى عناصر وأجزاء تكوينية ولكل جزء او عنصر وظيفة تساعد على ديمومة المجتمع او المؤسسة او المنظمة، لذا فالفكر البنوي الوظيفي يعترف بالبناء الكيانات أو الوحدات الاجتماعية وفي نفس الوقت يعترف بالوظائف التي تؤديها الأفراد والعناصر الأولية للبقية المؤسسات الأخرى التي يتكون منها المجتمع اذن هذه النظرية تعتمد على النظرية البيولوجية، ووظائف المؤسسة الواحدة لبقية المؤسسات التي جاء بها جارس دارون في كتابه أصل الأنواع، إذ تناول دراسة الأجزاء التي يتكون منها الكائن العضوي والترابط بينها، ودرس وظائفها للكائن العضوي ككل.

وقد استفاد علماء النظرية البنوية الوظيفية من هذا التحليل من حيث البناء والوظيفة والتطور، ذلك أن للمجتمع ومؤسساته بناء ووظيفة وأن هناك تكاملا من الجانب البنوي للمجتمع والجانب الوظيفي له .

وبهذا فإن النظرية تنتظر الى الظاهرة الاجتماعية على أنها وليدة الأجزاء البنوية التي تظهرها وسطها، وأن لظهورها وظيفة اجتماعية مباشرة وغير مباشرة ويرجع الفضل في ظهور هذه النظرية العالم البريطاني هربرت سبنسر ثم تطورت امريكا على يد تالكوت بارسون من خلال نظريته حول الانساق الاجتماعية وكذلك نجد روبرت مرتون وسي رايت ميلز وغيرهم.

❖ **أهم رواد النظرية البنوية الوظيفية:** نجد: هربرت سبنسر، تالكوت بارسونز، روبرت ميرتون، هانز كيرث، وسي رايت ميلز.

❖ **الأفكار الأساسية للبنائية الوظيفية:** تقوم على عدد من المقولات والأفكار الأساسية إلى تنطلق منها تحليلات أنصار هذه النظرية، فهي الإطار المرجعي والموجه النظري لهم عند تناولهم للقضايا والمشكلات الاجتماعية التي يعالجونها نظريا أو ميدانيا، ومن بين الأفكار الرئيسية لبارسونز وميرتون نجد:

- **النسق الإجتماعي:** من المقولات التي استخدمت بصورة كبيرة بين المهتمين بهذه النظرية، وهو من المفاهيم المركزية للبنائية الوظيفية التقليدية والمعاصرة، ونلمس ذلك في تحليلات تالكوت بارسونز وذلك بالنظر الى المجتمع باعتباره بناء اجتماعي يتكون من مجموعة من الأنساق الفرعية المتبادلة وظيفيا كالشق الاقتصادي؛ السياسي؛ الديني...

- **المجتمع مترابط داخليا:** ينجز كل جزء من أجزائه وظيفته احدى مكوناته يحدث تغيير في باقي اجزاء النسق.

- **دراسة النظم الاجتماعية:** وقد جاءت فكرة النسق الاجتماعي في تحليلات وأعمال هربرت سبينسر وإميل دوركايم من خلال تركيزهم على دراسة علاقة النظم الاجتماعية لبعضها البعض، فقد تطرق دوركايم في دراسته إلى النسق القانوني وعلاقته بالنسق السياسي والديني أو الاقتصادي.

- **التضامن الاجتماعي:** وهذا ما عبر عنه في فكرته حول التضامن الاجتماعي، وناقش سبنسر المجتمع أن له بناء متكامل وأجزاء متداخلة كالدين والعائلة وكلها لها وظيفة تساهم في استقرار المجتمع.

- **البناء الاجتماعي:** حاول رواد البنائية الوظيفية التقليدية والمعاصرة تحليل فكرة البناء الاجتماعي وتطوره بالاستعانة بتحليلات الأنثروبولوجيين أمثال مالنوفيسكي وراي كليف براون، حيث استخدموا

فكرة البناءات والأنساق الإجتماعية والعلاقات المتبادلة بينها مثل الأسرة، المدرسة، المؤسسة الدينية والدولة والاقتصاد.

- المتطلبات الوظيفية: ركز بارسونز على ما أطلق عليها بالمتطلبات الوظيفية، و تكمن في 4 عمليات، تؤكد علاقة الانساق الفرعية بالنسق الأكبر وهو المجتمع وجسدها فيما يلي:
- التكيف: ويسمى أيضا المواءمة، وهو تأمين الشروط الضرورية لمادية ومعنوية) لحياة اعضاء النسق.
- بلوغ الأهداف وتنظيم بلوغها في المجتمع.
- الصيانة.
- التكامل: المحافظة على العلاقات المتبادلة بين مكونات المجتمع.

ثانيا: نظرية الفعل الاجتماعي: ماكس فيبر.

1- الفعل الاجتماعي عند فيبر: هو أحد انواع الفعل الإنساني الاجتماعي، مثال: مشاهدة مباراة كرة القدم مع مجموعة من الأصدقاء، وإطلاق اناشيد ورهانات، هذا ما يسمى فعل اجتماعي لأنه يرتبط بسلوك الآخرين.

- يرى ماكس فيبر ان العالم كما هو ناتج من الفعل الاجتماعي حيث يقوم أفراد المجتمع بالعديد من الاشياء سبب أنهم يريدون ويقررون القيام بها، قصد تحقيق أهدافهم، فاختبار أهدافهم ومراعاة الظروف المحيطة التي يجدون أنفسهم فيها، دليل على انهم يقومون بالاختيار، ليتصرفوا بالطريقة التي تتناسبهم، فالبناء الاجتماعي يعد نتيجة للفعل الاجتماعي.

ثالثا- المدخل الماركسي: سيتم تناوله من خلال التطرق الى الماركسية الكلاسيكية والماركسية المحدثه:

- 1- النظرية الماركسية: هي نظرية من نظريات علم الاجتماع، تقوم على مسلمتين أساسيتين هما:
- العامل الاقتصادي: هو المحدد الاساسي لبناء المجتمع وتطوره، فعلاقات الانتاج في أي مجتمع هي التي تتحكم وتحدد كافة مظاهر الحياة فيه، أي البناء الفوقي: من سياسة، قانون، دين، فلسفة ادب، علم، اخلاق.

- النظر الى العالم بما فيه المجتمع من خلال الإطار الجدلي: الموضوع ونقيض الموضوع، والمركب منها، فهو إطار مستمر لا يتوقف، ويقول تيماشيف: "إذا ركبنا المسلمتين الأساسيتين لماركس خرجنا ببعض النتائج، فكل نسق من الإنتاج يبدأ بحالة إثبات، حيث يكون أكثر النظم الممكنة كفاءة في ذلك الوقت، لكنه متى عزز اجتماعيا يصبح عقبة امام تطبيق الاختراعات التكنولوجية، والإفادة من الأسواق الحديثة والمواد الخام ولا يمكن للتطور التاريخي أن يقف عند هذه المرحلة فالنظام المعزز اجتماعيا ينبغي القضاء عليه بواسطة ثورة اجتماعية تخلق نظاما جديدا للإنتاج.

2- الماركسية المحدثة: هي تلك النظريات والآراء التي ظهرت بعد الماركسية الكلاسيكية هدفها الحفاظ على الارث الماركسي، الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات، التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، هذا من جهة ومن جهة أخرى عدم تحقق تنبؤ كارل ماركس لسقوط الرأسمالية التي سيحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية، وأعقب ذلك انتشار سريع للرأسمالية في شتى أصقاع المعمورة، وقد حافظت الماركسية المحدثة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل طفيف عن معنى الصراع، الذي كان يقصد به ماركس انقلاب الطبقة الكادحة على أرباب العمل وأصحاب السلطة الذين يملكون وسائل الإنتاج من أجل أن تصبح هذه الوسائل ملكا لجميع الأفراد، اما الماركسيون المحدثون فيرون أن الصراع في طياته يحمل مضمون احترام للنظام والسلطة واعتبار الصراع أداة للتغيير والتحديث.

❖ عوامل ظهور الماركسية المحدثة: ونوجزها فيما يلي:

1. تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التصويرية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتغيرة.
2. ظهور ثلة من العلماء الشبان الغربيين الذين انبهروا بنظرة الصراع لكنهم اعتبروها أداة للتغيير والتحديث، لا كما نظرا اليها ماركس لأن الصراع في داخله يحمل احترام للنظام والسلطة.
3. -أراد أنصار الماركسية أن يقوم علم الاجتماع ويطور خلقه عن طريق دراسته لعناصر الصراع والتغيير، مركزين على التوفيق من الماركسية التقليدية الصراعية والوظيفية البنائية القائمة على التوازن النسقي.
4. حرص أنصار الماركسة على تطبيق نظرية الصراع وتصنيفها الى اتجاهين هما:
 - اتجاه ينظر الى المجتمع على أنه نسق معياري يركز على العوامل الاجتماعية.

- اتجاه طبيعي يسعى لتفسير الصراع بالاهتمام بالأسباب الاجتماعية والثقافية الكامنة التي يسببها يظهر الصراع.